Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإذا أتينا إلى موضوع الإيجاز ألفيناه بصمة الرمانى واضحة قوية ؛ فتعريفه له يتسم بالدقة إذ قال إنه « تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى » ؛ فليس تقليل الألفاظ عن المعانى إيجازا بلاغيا فى كل حال ، وإنما الشرط أن يتم ذلك من غير إخلال بالمعنى المراد ، وإلا كان الكلام تقصيرا ؛ وهو – فيما يبدو لنا – أول من ميز بين نوعية المعروفين : إيجاز الحذف ، وإيجاز القصر . ولعله كذلك أول من استخدم الاصطلاح الدال على النوع الثانى(٧٣) . وقد عمق دلالته بتلك المقارنة اللماحة التى أجراها بين قول العرب « القتل أنفى للقتل » وقول الله تعالى : ﴿ فى القصاص حياة ﴾ [البقرة : ١٧٩] حيث انتهى إلى أن إيجاز الآية أبلغ من إيجاز العبارة السابقة من وجوه أربعة فصلها هناك(٧٤) .

وفى سياق حديثه عن الإيجاز أيضا أبرز الفرق بين مصطلحين آخرين ، بينهما من التقابل ما بين الإيجاز ، والتقصير . هذان المصطلحان هما : الإطناب والتطويل ، فامتدح الإطناب وعدّه من البلاغة كالإيجاز ، لأنه يعنى تفصيل المعنى وما يتعلق به وفقا للمقام . أما التطويل فليس من البلاغة لأنه تكلف الكثير فيما يكفى فيه القليل « فكان كالسالك طريقا بعيدا جهلا منه بالطريق القريب » وليس الإطناب كذلك ؛ « لأنه كمن سلك طريقا بعيدا لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحمل فى الطريق إلى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له من الغرض المطلوب »(٧٥) .

ومن اللمحات الجيدة فى هذا الموضوع إشارة الرمانى إلى الأثر النفسى للحذف خلال تعليقه على حذف الجواب فى كثير من آيات القرآن ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ولو أن قرآنا سُيِّرت به الجبالُ أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى ﴾

---

(٧٢) انظر كتاب الصناعتين (تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٢٧٦ – ٢٨٢ .

(٧٣) يشعر القارىء لكتاب الصناعتين أن أبا هلال هو صاحب هذا التقسيم إذ يقول بعد مقدمة طويلة : « قال أبو هلال : والإيجاز : القصر والحذف » (ص ١٨١) إلا أن معرفتنا بطريقة أبى هلال فى الأخذ والاقتباس تجعلنا نرجح ما ذهبنا إليه لاسيما أن الرمانى أسبق منه تاريخيا ، وقد تعدد أخذ أبى هلال منه كما أشرنا من قبل .

(٧٤) انظر النكت فى إعجاز القرآن ص ٧٧ – ٧٨ .

(٧٥) النكت فى إعجاز القرآن ص ٧٩ .